

البرناسية

البرناسية:

سميت بهذا الأسم نسبة إلى (البرناس) وهو جبل في اليونان تدعي الأسطورة أن آلهة الشعر كانت تسكنه:

وقد لعبت الصدفة دوراً في اطلاق هذا الأسم. وذلك أن أحد الناشرين الفرنسيين أطلقه على مجموعة من القصائد التي نشرها في مجلد لمجموعة من الشعراء الجدد وقد سمي تلك المجموعة (البرناس المعاصر).

ويعد (لو كنت دي ليل) الذي ثار على المذهب الرومانتيكي لما فيه من ذاتية مفرطة زعيماً لهذا المذهب.

ويقوم المذهب البرناسي على فلسفة واضحة تعتمد المثالية الجمالية والواقعية والتجريبية التي سادت في أوروبا منذ حوالي منتصف القرن التاسع عشر.

ويتمثل تأثير الفلسفة المثالية في هذا المذهب بفلسفة (كانت) التي ترى أن (العمل الفني ذو خصائص جوهرية) بها تتوافر له صفة الجمال وجماله المحض لا يتمثل في سوى شكله وكان من أثر فلسفة (كانت) دعوة البرناسيين إلى استقلال الشعر عن كل غاية اجتماعية وخلقية. وقد أثرت هذه الفلسفة بكل من (تيوفيل جوتيه) أحد أكبر طلائع البرناسيين و(لو كنت دي ليل) زعيم هذا المذهب.

هذا ولم يتخذ المذهب اسم البرناسية له، إلا في سنة ١٨٦٦ وذلك بعد نشر البرناسية المعاصرة وهي مجموعة من أعمال أربعين شاعراً.

ولعل أهم ما يميز هذا المذهب من غيره من المذاهب، هو دعوته إلى الفن الخالص، مما أطلق عليه (الفن للفن) وقد كان فكتور هيجو قد أطلق هذه العبارة منذ سنة ١٨٢٩، ولكن تلك العبارة لم تهيء الطريق إلى استقلالية الفن ضمن مذهب أدبي له فلسفته الخاصة.

ويعزى قيام هذا المذهب إلى ردّ الفعل الناتج عن تقدم العلوم الطبيعية والى رفض البرناسيين نقد الواقعيين للحياة والمجتمع ومعارضتهم الرومانتيكيين في غلوهم الذاتي في الشعر.

وبدلاً من كل ذلك سعوا إلى جعل (الشعر فناً موضوعياً وغاية في ذاته همه نحت الجمال أو خلقه واستخراجه من مظاهر الجمال في الطبيعة أو خلعه على تلك المظاهر)^١

^١ الأدب ومذاهبه: مندور/١٠٢

يقول تيوفيل جوتيه (ليس الفن بالنسبة إلينا وسيلة وإنما غاية .. إن الشعر كالفنون التشكيلية: فن ومهنة .. انحنت أيها الشاعر ... واستعمل مبردك، رسخ حلمك الطامي في الصخر الصلد) وعلى الرغم من ريادة(جوتيه) في وضع القواعد الخاصة لهذا المذهب، إلا أن(لو كنت دي ليل) يعد الزعيم الحقيقي له.

هذا ويقدر الدارسون عمر المذهب البرناسي بعشر سنوات، ويجعلون عام ١٨٧٦ هو العام الذي توقف فيه نبض حياته تماماً.

-وأولى خصائص المذهب تجريده من أهدافه الخلقية والاجتماعية، والعناية بدلا من ذلك بجمال الشكل وتنقيفه ونحته وصوغه، والإهتمام بجمال الايقاع.

وبهذا يكون الشعر لدى البرناسيين قد تحول إلى صناعة وهندسة فنية بعيدة عن الأحساس والشعور اللذين أولاهما الرومانتيكيون عناية بالغة(فقد تم لجماعة البرناس، جمال البيت الشعري، والعناية الواعية فيه حتى منتهى النحت.

وثاروا على الوحي الرومانتيكي وعلى البديهية والسهولة والأنا ودموع المحبة وسطحية الفكر وفشل الآمال وداء العصر، واسترعوا أن الشعر صناعة من شأنها ضبط الوحي المتدفق والوضع في قالب بلغ الكمال الفني.)

_ويمتاز أسلوب البرناسيين بالصفاء والتهديب والدقة في صياغة العبارة والعناية بالوزن الشعري، والإحاطة بخصائص الموصوف الخارجية، وبذلك يصبح الفن الشعري لديهم أشبه بالفوتوغرافية والتصويرية التي تخلو من المشاعر والأحاسيس الدافقة، والتي من شأنها أن تتعامل مع القلب وتنصهر مع الشعور، ما يمنحها حركة ودقفاً.

ويمكن القول بأن القصيدة البرناسية، تمثل مجموعة الصور تمتلك أبعادا من الجمال التشكيلي، وبهذا يصبح الجمال لديهم مزيجاً من الخطوط والألوان والأنغام، مزجا مركباً، يولي عنايته لمنابع الهوى والتفكير والعلم والخيال؛ لأن كل عمل فكري محروم من هذه الشروط الأساسية للجمال المحسوس، لا يمكن أن يكون عملاً فنياً.

_ومن خصائص البرناسية، اعتدادها بالتراث اليوناني القديم، ونزعتها ضد المسيحية وفي هذا تكون قريبة من الكلاسيكية؛ لأن المذهبين ينهلان من مصدر واحد.

وقد أسلمهم اهتمامهم بالصياغة الشعرية إلى إهمال المضمون الشعري، وما يسعى إليه في معالجة القضايا الاجتماعية والسياسية، فالشعر عندهم لا يكون صدقاً لمشاغل العصر، كما لا يكون تعبيراً عن انفعالات الشاعر الخفية.

وفي ظل نظريتهم الشعرية، ابتعدوا عن السهولة في النظم والتصوير، وحاولوا الوصول إلى أعلى المستويات الممكنة، بعيداً عن وعظية الشعر وأهدافه التعليمية والخلقية، كما يقولون - فموضوع الشعر لديهم هو الشعر وحسب.

وإغاية القصيدة في رأيهم ، كامنة فيها ، والحكم عليها يتم من خلال استقلالها الشعري ، ووحدتها الذاتية، وليس من خلال الغاية التي ترمي إليها.

- هذا وقد دعت البرناسية الى الوصف الموضوعي، فهي تختار موضوعاتها من خارج الذات ، كمنظر الطبيعة ، أو مآثر الحضارات السابقة، من أحداث وتمثيل ورسوم لتعرض صورها ، عرضاً لا يختلط بعواطف الشاعر ، لتعبر هذه الصورة تعبيراً موضوعياً عن آرائه وعواطفه وأفكاره ، حتى يستشفها القارئ من خلال الوصف الموضوعي ..

- والصورة لدى البرناسيين مجسمة ، تستخدم للتعبير عن الموضوعات التي يعالجونها وتجسيماً شبيهة بلوحات الرسم أو بأجزاء التمثال ، ومنها ينفذ

- الشاعر الى صميم الصور الكلية ، لتصوير فكرته في موضوعه.

- ومما أخذ البرناسيون عن الكلاسيكيين الوضوح والقوة في شعرهم .وعنهم أخذوا كذلك دقة التصوير ، والاهتمام بالتفاصيل الجزئية .

ومن هنا صار الشعر لديهم وصفاً خالصاً ينحت صورته وإخيلته وجماليته من اللغة ، كما ينحت الفن التشكيلي تماثيله من الرخام.

واشترطوا في البيت الشعري وتركيبه ، جودة الصياغة وحسن الأيقاع ، وغنى النغم كما يجب أن يكون قوياً واضحاً متيناً ، والحكم عليه ، لا يتم الا بموجب هذا الشرط.

- وجمهور البرناسيين ، هو الصفوة الرفيعة من المجتمع -على حد تعبيرهم وهو جمهور مذاق للجمال عاشق له . وبذلك ابتعدوا عن سواد الشعب وأهملوا كل ما يتصل بحياته

وهومومه .

- ولا يعتقد البرناسيون بالإلهام ، وميزة الشعر عندهم ، ان يعمم الشاعر مشاعره الخاصة ،
في صورة موضوعية ، يلتزم الحيده التامة.